منعطف حاسم في تاريخ الكفاح الوطني

منبر الرابطة

لسان رابطة علماء المغرب

أسبوعية جامعة تصدر كل خميس

المدير المسؤول
الشيخ محمد المكي الناصري

رئيس التحرير
محمد الخضر الريسوني

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾

«قرآن كريم»

الخميس 6 أشوال 1413 الموافق 8 أبريل 1993 م ● العدد 40 ● السنة الأولى ● ثمن العدد: درهمان ● رقم الإيداع القانوني: 1992/79

يوم 9 أبريل 1947

ذكرى الزيارة التاريخية

لجلالة المغفور له محمد الخامس لمدينة طنجة

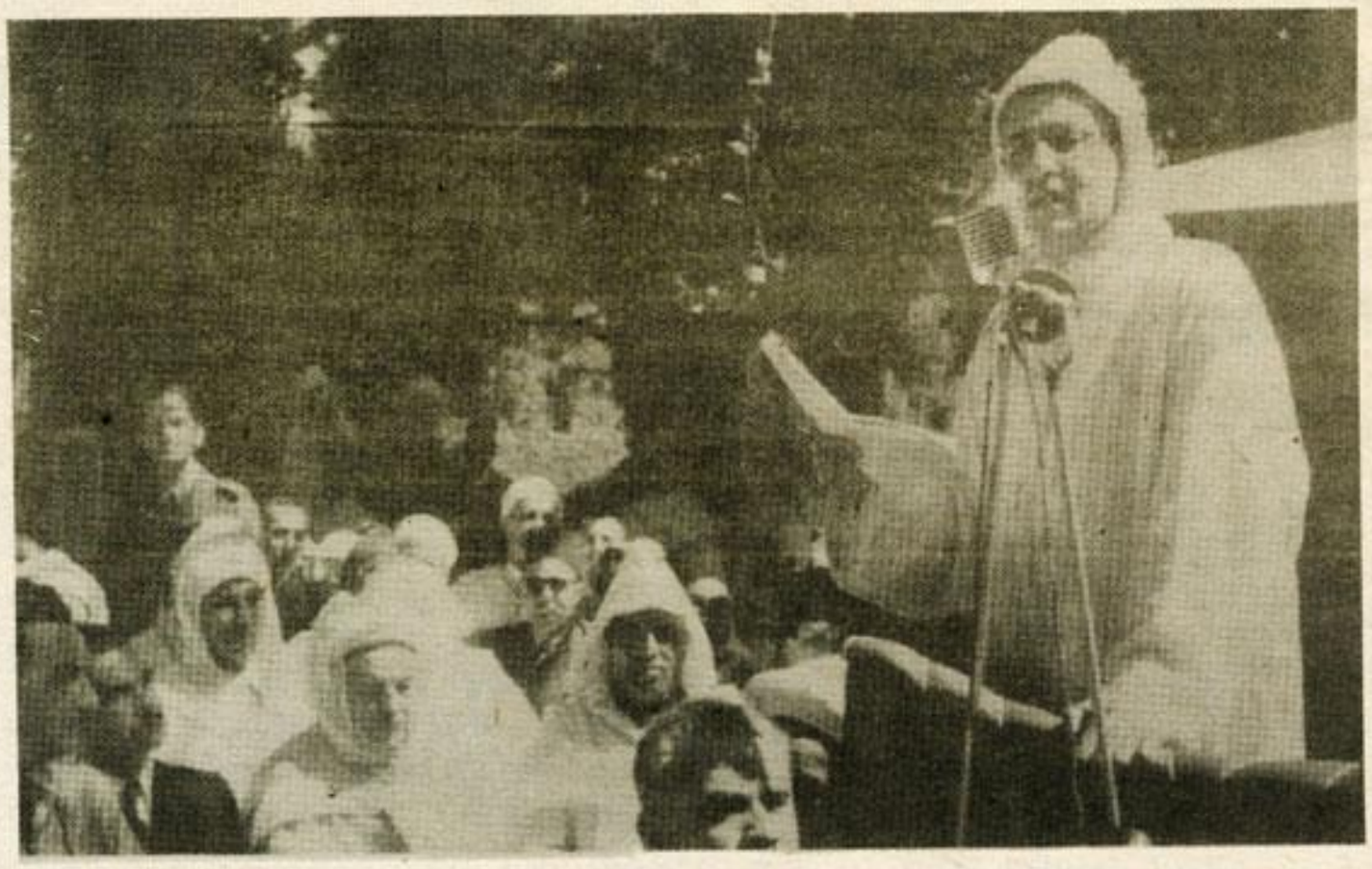

يخلد الشعب المغربي الذكرى السادسة والأربعين للزيارة التاريخية التي قام بها جلالة محمد الخامس طيب الله ثراه لمدينة طنجة.

إن تاسع أبريل من سنة 1947 سيبقى في جبين تاريخ الحركة الوطنية علامة مضيئة ومشرقة لكفاح الشعب المغربي وتضحياته البطولية من أجل الحرية والاستقلال والوحدة وتشبثه وتمسكه بالعرش العلوي المجيد. وقد تميزت زيارة المغفور له محمد الخامس بخطاب طنجة التاريخي الذي ألقاه رحمة الله عليه في حدائق المندوبية بطنجة حيث أكد فيه أمام ممثلي الدول الأجنبية إرادة المغرب في استرجاع استقلاله ووحدته الترابية.

كما تميزت هذه الزيارة التاريخية بالخطاب الذي ألقاه صاحب السمو الملكي ولي العهد، آنذاك، الأمير مولاي الحسن «جلالة الملك الحسن الثاني» في المدرسة الحرة للمرحوم سيدي عبد الله كنون، ومعهد مولاي المهدي ومقر الكشافة «الشروق»

ان يوم 9 ابريل 1947 كان بحق منعطفا حاسما لتاريخ الكفاح الوطني والتحام الشعب والعرش للسير معا في طريق العزة والكرامة والسلام.

كلمة العدد

الصحافة الوطنية بالمغرب ممثلة في أول مؤتمر للصحافة العربية بالقاهرة منذ أربعين سنة

في شهر أبريل 1953 دعت نقابة الصحافة المصرية برئاسة الأستاذ حسين محمود إلى عقد مؤتمر للصحافة العربية يحضره ممثلو تلك الصحافة من جميع أقطار العالم العربي، ووجهت الدعوة إلى رجال الصحافة الوطنية بالمغرب فكان حظ تمثيل تلك الصحافة من نصيب الأستاذ أحمد بن سودة عن المنطقة السلطانية، ونصيب الأستاذ محمد المكي الناصري عن منطقة الشمال وطنجة، وافتتح اللواء محمد نجيب الذي كان لايزال على رأس مجلس الثورة بمصر ذلك المؤتمر بدار الأوبرا المصرية، ورشحت إدارة المؤتمر التي كان يرأسها الصحفي الكبير والكاتب الشهير محمود أبو الفتح حضرة الأستاذ الناصري، للكلام باسم وفد الصحافة العربية بالمغرب، في حفل الافتتاح تحت رئاسة اللواء المصري الجليل.

وعلى هامش المناظرة الوطنية الأولى للإعلام والاتصال التي نالت حظا كبيرا من النجاح والتي شارك في لجنتها الأولى الأستاذ الناصري، وللذكرى والتاريخ ننشر اليوم نص الكلمة التي ألقاها نفس الأستاذ في افتتاح المؤتمر الأول للصحافة العربية بالقاهرة، مع صورة تذكارية تمثله وهو يلقي خطابه أمام الرئيس المصري والصحافيين العرب، وقد شرع ذلك المؤتمر في أعماله منذ يوم 11 واستمر إلى يوم 15 ابريل من سنة 1953.

وفيما يلي كلمة الأستاذ الناصري في حفلة افتتاح مؤتمر الصحافة العربية:

سادتي

لقد شاء الله أن تكون السلالة العربية سلالة خالدة على وجه الأرض، فقدمنحها من خصائص الخلود وملكات الامتياز مالم يمنحه إلا للقلائل من عباده، ولقد ادخر لها من الرسالات السامية المتوالية ما جعل لها - وسيجعل دائما وأبدا - مكانا بارزا في صدر التاريخ لا يجحده المنصفون.

ويظهر في الأفق أن عصر اليقظة العربية أوشك أن يعقبه عصر النضوج والكمال، حيث يستعيد العرب في دنياهم الواسعة مكانتهم التاريخية الأولى، ويستأنفون جهادهم السامي في سبيل الرقى والحضارة وخدمة الانسانية المكلومة.

لقد عهدنا في الشرق العربي أنه كان دائما مرآة للاشراق والنور، وأنه كان في خلال القرون والأجيال المهد الأول والمشعل الوضاء للتمدن المهذب، والحضارة العريقة، والمجد العريض، والرقى

البقية ص 2

عالمك الإسلامي — الصفحة الثانية

من ثرات الحركة الوطنية — الصفحة الثالثة

من أحاديث العلماء — الصفحات 4. 5. 6. 7

تأملات وخواطر — الصفحة الثامنة

﴿ اللهم إنك عفو تحب العفو فاعفو عنا ﴾

كلمة العـــدد

الصحافة الوطنية بالمغرب ممثلة في أول مؤتمر للصحافة العربية بالقاهرة منذ أربعين سنة

تابع ص 1

المتوازن المتناسق، والتسامح الكريم الذي لم تعرفه الدنيا لا من قبل ولا من بعد، ثم جاءت فترة الذهول العام، فانكمشت العروبة على نفسها، وانزوت في زاوية العزلة الغريبة، متناسية رسالتها في الحياة، متنازلة عن حقوقها في خدمة الانسانية والحضارة التي أعدتها لها العناية الإلهية عن جدارة واستحقاق، فكان ما كان من غفوة واستنامة، لم يجلبا للعروبة والعرب في مشارق الأرض ومغاربها الا الحسرة والندامة .

واليوم ها نحن نرى باعيننا ونلمس بايدينا أن الشرق العربي قد استوى على سوقه مكتمل القوة، تام الفتوة، يستعد مرة أخرى لاستئناف دوره المجيد في خدمة الرسالة السامية التي خلق لها، وتحقيق المثل العليا التي كان أول من آمن بها ودعا اليها : مثل التعاون والإخاء والمحبة والوئام، بين كافة العناصر والأجناس والأديان والأقوام، متسلحا في أداء هذه الرسالة برشده الاخلاقي، ونضوجه الفكري، وتفوقه الروحي.

ألا ترون معي أيها السادة أن زمان العروبة قد استدار، وأن شملها يجتمع بعد انتثار، وأن قواتها الروحية الزاخرة التي ظلت مبعثرة زمنا طويلا تتاهب الآن لتلتقي في صعيد واحد، حتى تمد بتيارها المنعش المحيي الأقارب والأباعد.

هاهي مصر العزيزة، قلب العروبة النابض، ودماغها المفكر، وروحها الملهم، تدون كل يوم صفحة جديدة في سجل البعث العربي، وكل أملها أن يمضي العرب قدما في قافلة الحياة، متطلعين الى المستقبل السعيد، وكل أمنيتها أن يستانفوا كفاحهم السلمي النبيل في سبيل الرقي والانسانية والحضارة، متعاونين متضامنين متحدين، لاستئناف ما ضيهم المجيد.

هاهي مصر الشقيقة حمامة السلام في دنيا العروبة كلها، تجمع كلمة العرب على الحق والخير والهدى في السر والنجوى، وتؤلف من فرقهم وطوائفهم وأحزابهم وهيآتهم وحدة منسجمة متحابة. وكتلة متراصة متعاونة على البر والتقوى.

هاهي مصر الكريمة تستقبل اليوم حملة الأقلام وموجهي الرأي العام العربي في صعيد واحد، بما عهد فيها من حسن ضيافة وكرم زائد، لتذكرهم باعباء الرسالة السامية الملقاة على كاهل الصحافة العربية في العهد الجديد، ولتتعاون مع خدام صاحبة الجلالة على تعبئة كل الجهود لخدمة أهداف التحرير والعزة والكرامة والتجديد.

وان أنس لا أنسى في هذه اللحظة التاريخية الخالدة لنقابة الصحافيين المصريين المحترمة منقبتها الكبرى، ومفخرتها الجلى، التي سجلها تاريخ الكفاح الوطني في مراكش بأحرف من نور، فقدجمعت على المحبة قلوب المكافحين الأحرار، وجددت بينهم عهد الشرف والتفاني والإيثار، إذ ألفت بين أحزابهم، ووحدت بين أهدافهم، وساهمت بذلك مساهمة فعالة في مجهود الأمانة العامة لجامعة الدول العربية الموقرة، ذلك المجهود الكريم الذي لا تزال تواصله الأمانة العامة باستمرار، وتراقب نتائجه الطيبة في مختلف المراحل والأطوار.

سادتي

لا أنهى هذه الكلمة دون أن أحيي باسم الصحافة الوطنية المجاهدة في مراكش معالي الرئيس اللواء محمد نجيب قائد الثورة الشعبية الصميمة، ورئيس الحكومة المصرية الكريمة، وأصحاب المعالي زملاءه الوزراء الأجلاء، ورجال القيادة الأوفياء، وأعضاء الوفود العربية المشتركة في هذا المؤتمر ، وأعضاء نقابة الصحافيين المصريين الذين تفضلوا بتنظيمه والدعوة اليه ماجورين مشكورين، فاليهم جميعا تحيات خالصة من مراكش العربية المكافحة في سبيل العروبة الى النهاية، والله نسال أن يوفقنا ويسدد خطانا ويلهمنا سواء السبيل»

القاهرة في 11 ابريل سنة 1953 محمد المكي الناصري

عالمك الإسلامي

المملكة العربية السعودية

موقع المملكة العربية السعودية في الجنوب الغربي من قارة آسيا تحدها العراق والمملكة الاردنية من الشمال، والجمهورية العربية اليمنية، وجمهورية اليمن الشعبية من الجنوب ودولة الإمارات العربية المتحدة، وسلطنة عمان من الشرق، والبحر الأحمر من الغرب، مساحتها 2.149.690 مليون كيلو متر مربع.

ودين الدولة هو الإسلام، ولغتها العربية، والشريعة الإسلامية هي قانون البلاد ومصدر نظمها والعملة الرسمية هي الريال.

وتتمتع أراضي الحجاز بموقع جغرافي متميز.. ولذلك كان لمكة ارتباط بطرق القوافل الآتية من اليمن، حيث باب البحر الأحمر وبحر العرب الى بحر الهند، ومن الخليج ومن الشام وكانت لها مكانتها الدينية حيث وضع ابراهيم قواعد بيت الله الحرام ومعه اسماعيل جد رسول الاسلام.

وسكان المملكة العربية السعودية يقدر عددهم بحوالي أحد عشر مليون نسمة واذا تتبعنا توزيع السكان على مناطق المملكة، فإننا نجد منطقة مكة تستاثر وحدها بأكثر من خمس سكان البلاد إذ تضم تقريبا مليونين من السكان تليها منطقة الرياض التي تضم مليون وخمسمائة ألف من السكان.

ومن أهم مدن المملكة، الرياض وهي العاصمة ويقدر عدد سكانها بثلاثة أرباع المليون تقريبا.

ـ تمتاز بموقعها المتوسط للبلاد حيث تبعد عن ميناء جدة بحوالي ألف كيلومتر، وعن ميناء الدمام بسبعين كيلو مترا، وتربطها بمختلف جهات المملكة شبكة جيدة من الطرق، كما يربطها خط حديدي بالمنطقة الشرقية.

ـ وهي أيضا ملتقى العديد من الخطوط الجوية التي تربطها بمختلف الأنحاء داخل المملكة وخارجها.

ـ وتضم الرياض عددا كبيرا من المدارس، كما تضم جامعات وكليات ومعاهد عليا هذا إلى جانب ما تضمه من شتى مؤسسات التجارة والصناعة والمال والتشييد والإدارة وسائر الخدمات.

ومن المدن الرئيسية الكبرى من المملكة العربية السعودية مدينة جدة.

وجدة هي الميناء الرئيسي للمملكة على البحر الأحمر، وتبعد عن مكة بخمسة وسبعين كيلو مترا وعن المدينة المنورة بثلاثمائة وتسعين كليو متر.

ويستقبل ميناء جدة البواخر الضخمة فضلا عن مآت الألوف من الحجاج سنويا الذين ياتون على ظهر السفن والبواخر من مختلف أنحاء العالم.

وتعد مكة المكرمة من بين المدن الكبرى في المملكة العربية السعودية وفي مكة يقوم بيت الله الحرام الذي يحج إليه اليوم ملايين المسلمين من كل فج عميق.

والكعبة المشرفة هي بيت الله الذي كان أول بيت وضع للناس بعبادته عبادة صحيحة.

وبناء هذا البيت كان منذ أربعة آلاف سنة

وإبراهيم قدم الى مكة المكرمة مع زوجه هاجر وابنه إسماعيل سنة 2572، قبل مولد سيدنا محمد ﷺ، وفي هذا الوقت ظهر ماء زمزم، ورفع قواعد البيت من قبل إبراهيم وإسماعيل كان بعد ذلك، ببعض العقود من السنين، وأول من كسا الكعبة هو تبع أبو كرب أسعد ملك حمير. والحجر الأسود أبرز ما في الكعبة، وقد بلغ من قداسة هذا الحجر الكريم أن رسل الله الكرام، ابراهيم، واسماعيل، ومحمد وغيرهم من الرسل الذين حجوا البيت عليهم صلوات الله وسلامه، لم يقبلوا موضعا في الأرض غير الحجر الأسود ويسلم عليه ملايين الحاج من عهد ابراهيم الى عهدنا.

وتشهد مكة في عصرنا مشروعات واسعة ضخمة لمواجهة تزايد عدد الحجاج في السنين الأخيرة.

ومن المدن الرئيسية الكبرى في المملكة العربية السعودية، المدينة المنورة، وتبعد المدينة المنورة عن جدة بـ 424 كيلو متر وعن مكة بـ 460 كيلو مترا، وعن الرياض بـ 980 كليو مترا، ولها مطار جوي خاص.

وتضم المدينة المنورة المسجد النبوي الشريف وقبر الرسول ﷺ وبجانبه قبرا صاحبيه وخليفتيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

وفي المدينة يوجد البقيع، والبقيع مدفن كثير من أصحاب رسول الله وأزواجه وأولاده.

والمدينة المنورة هي قاعدة الدولة الاسلامية الأولى منذ هاجر رسول الله إليها، ولذلك تتعدد الآثار الإسلامية حولها.

من هذه الآثار الإسلامية : مسجد قباء ويقع في الجنوب الغربي للمدينة هو أول مسجد أسس بالمدينة.

ومسجد قباء هو الذي أشارت إليه الآية الكريمة «لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه»

ومنطقة المدينة المنورة شهدت عدة مواقع للرسول، منها بدر. وبدر كما يصفها المؤرخ المقدسي (مدينة صغيرة قريبة من ساحل البحر).

وفي منطقة المدينة أيضا يوجد جبل أحد وعلى مقربة منه يوجد قبر سيدنا حمزة.

ومن مدن المملكة العربية السعودية : مدينة الطائف، وتعد الطائف مصيفا جميلا، وتضم مسجد عبد الله بن عباس.

أما مدينة الظهران فتعد من أحدث مدن المملكة. وتوجد بها جامعة البترول والمعادن، وبها كليات للزراعة والطب البيطري.

ويطلق اسم الإمام محمد بن سعود على الجامعة المختصة بالدراسات الإسلامية في الرياض.

وتزخر الأرض السعودية بمعادن الحديد والنحاس والذهب والفضة والمعادن المشعة والرمل الزجاجي والرخام والبترول.

وحتى نهاية سنة 1975، اكتشف نحو اثنين وثلاثين حقلا للبترول : منها أحد عشر حقلا في المنطقة المغمورة من الخليج وتسعة عشر حقلا على اليابسة الذي تبلغ طوله 241 كيلو مترا وعرضه الأقصى أربعين كيلو مترا وهو أكبر حقل للنفط على اليابسة في العالم.

صورة الشيخ المكي الناصري وهو يخطب باسم المغرب في افتتاح المؤتمر الأول للصحافة العربية برأسة الرئيس محمد نجيب وذلك بدار الاوبرا بمصر

من تراث الحركة الوطنية

تحت راية العرش
«الشعب بالعرش والعرش بالشعب»

سجل وثائقي حافل أعده وأنجزه:
الشيخ محمد المكي الناصري وثلة من رفاقه

صدر الجزء الأول من السجل الوثائقي الحافل الذي يجمع بين دفتيه جملة من المقالات والكلمات التي تدور كلها في فلك العرش، تمثل مختارات مما كتب عنه اثناء الحركة الوطنية من سنة 1934 الى سنة 1950.

ويسرنا أن نقدم لقراء «منبر الرابطة» افتتاحية هذا السجل الوطني التي كتبها الشيخ محمد المكي الناصري.

بسم الله وعلى بركة الله والصلاة والسلام
على مولانا رسول الله وآله وصحبه

من العرش وإليه

مولاي صاحب الجلالة أمير المومنين الحسن الثاني، حامي الملة والدين، وراعي العاملين المخلصين، أدام الله عليكم نعمة التوفيق والسداد، وأمدكم على مر الأيام بدوام النصر والتمكين.

نعم سيدي أعزك الله

بمناسبة حلول الذكرى الثانية والثلاثين لجلوسكم على عرش أجدادكم الميامين أتشرف بأن أهدي إلى مقامكم العالي بالله، والى السادة الأمراء الأجلاء أصحاب السمو الملكي، أنجالكم الكرام البررة، حفظهم الله، وأقر بهم العين، ثم إلى شباب مملكتكم الشريفة، المتعطش إلى معرفة «الحقيقة الكاملة» عن الحركة الوطنية بالمغرب، والاطلاع على مساهمة كل رائد من روادها، هذا «السجل الوثائقي» الذي يجمع بين دفتيه جملة من المقالات والكلمات تدور كلها في فلك العرش، ألهمني إياها - في البداية - مجرد حب العرش والتعلق به، المتسلسل بالوراثة في « البيت الناصري» أبا عن جد، لكن سرعان ما أصبح موضوع العرش في طليعة الأولويات التي تشغل البال، وتحرك البلبال، أردد القول فيه بمختلف الأساليب، وفي مختلف المناسبات، منذ أن اطلعت، في المصادر الفرنسية التي ظهرت بعد الحرب العالمية الأولى على خيوط المؤامرة الاستعمارية الكبرى التي بدأت تحاك ضد العرش فلم ألبث إلا قليلا حتى دشنت مع بقية الرفاق - رحمة الله عليهم - معركة الكفاح الوطني الصريح، وعاهدت الله على أن أخوض «معركة العرش» ضد الاستعمار وأذنابه ما دمت حيا، ولم أزل أواصل العمل في هذه المعركة الضارية دون انقطاع ولا هوادة، طوال عشرين عاما في الداخل والخارج بعون الله وتوفيقه، إلى أن انبلج فجر الوحدة والحرية والاستقلال، على يد بطل التحرير، جلالة والدكم المنعم، المغفور له، أب المغرب الحديث، محمد الخامس، طيب الله ثراه، وخلد ذكراه.

وكان الدافع الأكبر إلى التطوع تلقائيا باتخاذ هذا الموقف، والالتزام به، والثبات عليه، والتمسك به، إلى نهاية المطاف، رغما عما كان يحف به من المكاره والأخطار، هو إيماني القوي برسالة العرش، واقتناعي العميق بالدور الفعال الذي يؤديه في حياة الأمة والملة، واعتباري أن العرش كان ولا يزال هو «سفينة النجاة» للشعب المغربي المومن، وأن التطوع في سبيل نصرته، والجهاد من أجل استرجاع سيادته، واجب ديني ووطني مقدس، وقد «صدق الخبر الخبر» كما يقول المثل العربي.

مولاي — إن المجموعة التي يضمها هذا السجل لا تمثل كل ما كتبته عن العرش المفدى، وإنما تمثل مختارات مما كتبته عنه خلال الفترة الممتدة من شهر فبراير 1934 إلى شهر مارس 1950، ويبقى ما كتبته بعد تلك الفترة إلى نهاية العهد الاستعماري البغيض، ليكون موضوع سجل آخر أو أكثر، آمل من الله تعالى أن يوفقني لجمعه ونشره قريبا، بفضل تشجيع جلالتكم، وجميل رعايتكم.

وقد اخترت لهذه المجموعة الأولى وما سيلحق بها من أخواتها عنوان «تحت راية العرش»، وأعطيتها أولوية السبق في النشر، لأنها تمثل إلى حد كبير مبلغ تمسك الحركة الوطنية عموما، «وحركة الوحدة المغربية» خصوصا، بعروة العرش الوثقى التي لا انفصام لها، وذلك مما يبيض وجه «الوطنية المغربية» أمام التاريخ، ويميزها عن غيرها من الحركات، ونقلت هذه المجموعة يا مولاي بنصها وفصها من الصحافة الوطنية التي نشرتها بكل

أمانة، مشيرا إلى اسم الصحيفة، ورقم العدد، والتاريخ الهجري والميلادي الذي نشرت فيه، مبالغة في التوثيق، لمن يهمهم الأمر من الباحثين والدارسين، ومن خلال تواريخ نشرها تتضح الظروف التي أملتها، والدوافع التي حفزتني إلى كتابتها، ويتبين سياق الأحداث التي أوحت بها، إذ «لكل مقام مقال».

وإذا فسح الله في الأجل، وأتممت كل ما كتبته عن العرش، الذي هو عندي قبل غيره أولى الأولويات، فساشرع بحول الله وقوته في جمع كتاباتي في المواضيع الوطنية الأخرى وإعدادها للنشر، سالكا نفس المسلك، بتخصيص كل محور منها بعنوان خاص جامع، مثل « تحت راية الشعب»، و «تحت راية الوطن» و« تحت راية العروبة والإسلام».

وأملي كبير يا مولاي أن يستفيد من هذا المشروع الوطني الخالص كل من لم يشهد، أو لم يتتبع، مراحل الكفاح الوطني في وقتها، أو تلقى عنها رواية مبتورة، أو أخذ عنها صورة مشوهة، فصدقها دون نقد ولا تمحيص، فبفضل هذا المشروع وأمثاله سيصبح كل مواطن منصف على بينة من «رصيد الحركة الوطنية» الغني والمتنوع، بصفته كلا لا يتجزأ، وميراثا وطنيا مشتركا يعتز به الجميع، وبفضله يستطيع كل باحث نزيه أن يحيط علما مدققا بمساهمة كل فصيلة من فصائل الحركة الوطنية، وأن يتعرف على الطابع المميز لكل هيأة من هيآتها، وأن يقدر حجم مساهمتها كما وكيفا، تبعا لمقتضيات الظروف التي كانت تعمل فيها.

ولإبراز وحدة الفكر والعقيدة والاتجاه التي جمعت رجال «الوحدة المغربية» على قلب رجل واحد، ذيلت هذه المجموعة بنماذج من مقالات وكلمات ثلة من كتابها وخطبائها في الشمال والجنوب، مما نشرته لهم صحافتنا الوطنية خلال نفس الفترة، إحياء لذكرى من انتقل منهم إلى رحمة الله، ووفاء لمن لا يزال منهم على قيد الحياة، وستكتشفون يا مولاي - من خلال كتاباتهم - إلى أي حد كانوا أوفياء صادقين، ودعاة متحمسين، معتزين بخدمة العرش والتعلق به والدفاع عنه إلى آخر رمق.

فلتتقبلوا يا مولاي هذه الهدية الروحية والوطنية قبولا حسنا، فهي «عمل صالح» لم أقصد به إلا وجه الله، ورضى الوطن، وخدمة التاريخ، ولولا رعايتكم السابغة التي تخصون بها كافة العاملين المخلصين، والحرية التي يتمتعون بها جميعا في ظل جلالتكم، والدعوة الملحة التي تنادون بها في كل مناسبة للتعريف بتاريخ نضال شعبكم، وإبراز الوحدة التي تجمع بينه وبين عرشكم، لما أمكن لهذه المجموعة أن ترى النور، بارك الله في عهدكم الزاهر، وأبقاكم ذخرا للبلاد والعباد، والسلام على المقام العالي بالله.

الرباط 26 شعبان 1413
18 فبراير 1993

خادم العرش والشعب المخلص
محمد المكي الناصري

بيان للناس

وجه الدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري، المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو - البيان التالي إلى المجتمع الدولي:

إن المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو - بصفتها الممثل لضمير الأمة الإسلامية في مجالات اختصاصها، واستنادا إلى ميثاقها الذي يجعل من مهامها حماية الشخصية الإسلامية واستقلال الفكر الإسلامي من عوامل الغزو الثقافي والمسخ والتشويه، وتدعيم التفاهم بين الشعوب والمساهمة في إقرار السلم والأمن في العالم.

ونظرا إلى تصاعد حملات وسائل الإعلام الغربية الموجهة ضد الإسلام، عقيدة وشريعة وحضارة، ومحاولاتها تحميله وزر ما يقوم به بعض الأفراد أو الجماعات، المنتسبين إليه، من أعمال تتسم بالتطرف والعنف، وتشويه ناصع حقيقته وسماحة رسالته، تعلن للعالم أجمع ما يلي.

1 - تنديدها بأي نوع من أنواع الإرهاب والتطرف والعنف مهما كان مصدره. امتثالا لقول الله تعالى : « أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن»، وقوله تعالى : « إن الله لا يحب المعتدين»، وقوله تعالى : « ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها» وقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء على أنفسكم أو الوالدين والأقربين».

2 - إدانتها للهجمة الإعلامية المضللة التي تقوم بها وسائل الإعلام الغربية ومحاولاتها إلصاق التهم بالإسلام وحضارته ومعتنقيه. مغفلة ما تقوم به بعض الجماعات المسيحية واليهودية والبوذية والهندوكية من تطرف وإرهاب وعنف ضد المسلمين في أماكن كثيرة من العالم وعدم نسبتها تلك الأعمال العدوانية إلى أديان فاعليها.

3 — تاكيدها أن الإسلام لا يحدد ولا يعرف بسلوك بعض المنتسبين إليه، بل بنصوص القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة وما أجمع عليه أئمة المجتهدين، وإلا لقلنا إن المسيحية هي فظائع الصرب في البوسنة والهرسك، وعنف الجيش الجمهوري الإيرلندي، وعنصرية جماعة الكوكلكس كلان، وجنون طائفة الداوديين في واكو

البقية ص 7

الكتب الأمهات في المذهب المالكي
(الحلقة الأولى)

الدكتور : عمر الجيدي
عضو الرابطة/فرع الرباط

من المصطلحات التي درج عليها المالكية في كلامهم وتعارفوا عليها فيما بينهم، وتناقلتها كتبهم، مصطلح (الأمهات)، وهو مصطلح يعنون به كتبا أربعة تعتبر من أجود وأشهر ما ألف في المذهب المالكي في مرحلة التاسيس بعد الموطأ الأصل الأول لهذا المذهب. وهذه الكتب هي : المدونة، والواضحة، والعتبية أو المستخرجة، والموازية، وهي التي تشكل الأسس التي قام عليها المذهب المالكي. لقد وصلنا من هذه الأمهات كتابان هما : المدونة والعتبية أما الواضحة والموازية فلم يصلنا منهما إلا نتف يسيرة موزعة في بعض المكتبات، وبعضها مبثوث في كتب الفروع، وبقدر ما نعتز بوجود المدونة والعتبية، بقدرما ناسف لضياع الواضحة والموازية.. من المؤسف أن تضيع واضحة ابن حبيب التي كان لها حضور قوي في حلقات الدرس، بل كان عليها المدار في مدارسة الفقه المالكي، والتي ظلت مرجعا أساسيا لطلبته عبر قرون وأجيال، ومن المؤسف كذلك أن يضيع كتاب (الموازية) لمحمد بن المواز الاسكندري الذي قيل عنه : انه أجل كتاب ألفه المالكية، والذي كانت المشيخة تفضله على سائر كتب المذهب، لصحة مسائله وبسط كلامه، إذ كان صاحبه قصد فيه إلى بناء الفروع على الأصول، دون أن يكتفي بجمع الروايات ونقل السماعات، كما فعل البعض من معاصريه ومن تقدمه، من المؤسف، إذن، أن تضيع مثل هذه المصنفات التي رسخت المذهب المالكي في عقول معتنقيه، والتي كان لها الفضل في انتشاره وازدهاره واستمراره، إن هذين الكتابين — وما ضارعهما — لو وصلتنا لاستطعنا أن نعرف المزيد عن مكونات هذا المذهب على مستوى بنائه الداخلي، غير أن الأمل ما يزال معقودا على البحث العلمي الجاد الذي قد يفلح في يوم من الأيام في العثور على ماضاع، أو ما هو في حكم الضياع و إلحاقه بما هو محفوظ، إذ كثيرة هي المؤلفات التي كان البعض يسلم بفقدانها ظهرت للوجود بفضل جهود الباحثين المخلصين لهذا التراث الجليل، لاسيما إذا علمنا أن معظم التراث الإسلامي ما يزال مركوما في المكتبات العامة والخاصة لم تتم فهرسته بعد، وجله في ملكية الأجانب ..

لقد حصر المالكية، إذن أمهات المذهب في المصنفات الأربع على الترتيب الذي أشرنا إليه : المدونة، ثم الواضحة، ثم العتبية أو المستخرجة، ثم الموازية.. أما المدونة فهي للإمام عبد السلام سحنون المتوفى سنة (240هـ) أقدم كتاب وصلنا في المذهب المالكي بعد الموطأ، وهي عبارة عن أسئلة سئل عنها عبد الرحمن بن القاسم، فاجاب عنها بما كان سمعه من شيخه مالك بن انس (179هـ)، وكان إذا لم يجد في المسالة جوابا لمالك يجيب عنها باجتهاده، وأول من ساله عنها أسد بن الفرات (213هـ) فدون ما سمع منه، وأضاف إلى هذا السماع مسائل فقهية كان قد تلقاها عن العراقيين، وعنه تلقاها تلميذه سحنون قبل أن يرحل إلى ابن القاسم، للتاكد من هذا السماع ومدى جريانه على أصول مالك وقواعده، فأصل المدونة، إذن، هي الأسدية، إلا أن سحنونا لما قدم بالرواية المصححة على ابن القاسم هذبها ونسقها تنسيقا جديدا، وبوبها وألحق بها من خلاف كبار أصحاب مالك ما اختار ذكره، وذيل أبوابها بالحديث والآثار، إلا فصولا منها مفرقة بقيت على أصل اختلاطها في السماع، ولذلك تسمى المدونة، وتسمى المختلطة، فالمدونة التي بين أيدينا هي ثمرة مجهود ثلاثة من الأئمة : مالك بإجاباته، وابن القاسم بقياساته وزياداته، وسحنون بتهذيبه وتنقيحه وتبويبه وبعض إضافاته، ذلك بأن المدونة، أساسا، سماعات ابن القاسم من مالك أجاب بها عن أسئلة سحنون لما قدم إليه من تونس طلبا للعلم وتصحيح رواية ابن الفرات، فكان ابن القاسم إذا وجد في المسالة المسؤول عنها قولا لمالك، أجاب طبق ما سمع منه، وإلا قاس على أصله، وأحيانا كثيرة يجتهد رأيه وإن خالف قواعد مذهب إمامه إن تبين له وجه الدليل، كما أن سحنونا لم يكتف، فقط، بالجمع والتنسيق، بل أضاف إلى ذلك إضافات من الموطأ، ومن سماعات شيوخه وما اختاره لنفسه.

ثم إن المدونة هي أصل المذهب المالكي، وعمدة الفقهاء في القضاء والإفتاء المرجح روايتها على سائر الأمهات، وهي الأصل الثاني بعد الموطأ في الفقه المالكي، فيها كانوا يتناظرون ويتذاكرون، وإليها كانوا يفزعون فيما أشكل عليهم من مسائل هذا المذهب، ولعل أي كتاب من كتب المذهب لم يحظ بمثل ما حظيت به المدونة، اذ تعلق الناس بها تعلقا غريبا، فحفظها الكثير منهم عن ظهر قلب على كبر حجمها، وأكثروا من الشروح لها، والتعليق عليها والتنبيه على غريبها ومشكلاتها، وقد كان سحنون في مقدمة المعجبين بها، لذلك رأيناه يوصي طلابه بالاعتناء بها، والاعتماد عليها ويقول : « عليكم بالمدونة ، فإنها كلام رجل صالح وروايته». وقد بين منزلتها وجلالة قدرها حين قال : « إنما المدونة من العلم بمنزلة أم القرآن، تجزىء في الصلاة عن غيرها، ولا يجزىء غيرها عنها، أفرغ الرجال فيها عقولهم وشرحوها وبينوها، فما اعتكف أحد على المدونة ودراستها إلا عرف ذلك في ورعه وزهده، وما عداها أحد إلى غيرها إلا عرف ذلك فيه، ولو عاش عبد الرحمن أبدا، مارأيتموني أبدا»، وروى ابن رشد عن بعضهم قوله « ما بعد كتاب الله أصح من موطأ مالك رحمه الله، ولا بعد الموطأ ديوان في الفقه أفيد من المدونة»... لقد اهتم الناس بالمدونة اهتماما بالغا، واعتنوا بها عناية فائقة، ورجحوها على سائر كتب المذهب، وما كثرة الشروح التي وضعت عليها، والتعاليق التي دارت حولها، والاختصارات لها، الا دليل على هذا الاهتمام وهذه العناية، وتحدثنا كتب الطبقات أن عددا وافرا من الفقهاء كانوا يحفظونها عن ظهر قلب، فيحكي عياض أن محمد بن سيمون الانصاري الطليطلي كان يستظهرها، كتبها في اللوح فحفظها كما يحفظ القرآن، ويذكر الشيخ أحمد بابا السوداني أن الفقيه أحمد المرجولي كان يحفظها عن ظهر قلب ويستحضر شراحها، وكذا الشيخ إسحاق بن يعمر الغماري وأبا القاسم السيوري، الذي أملاها من حفظه لما فقدت مرة من القيروان، وأبا الحسن علي بن عشرين أملاها من حفظه، بحيث لما وجدوا نسخة قوبلت عليها النسخة التي أملاها من حفظه، لم يجدوا بينهما اختلافا إلا في واو أو فاء . وعندما أحرق الموحدون كتب الفروع، وضمنها المدونة، كتبت من حفظ عبد الله بن عيسى التادلي، على أن المرحوم المختار السوسي يحدثنا في المعسول أن أهل دغوغ كان يحفظ المدونة منهم عن ظهر قلب ستة آلاف وسبعمائة وستون رجلا وخمسمائة من النساء ! فاذا صح هذا يكون هؤلاء قد وضعوها والقرآن الكريم في مرتبة واحدة، فلا نعلم هذا عن المغاربة إلا في حفظهم لكتاب الله، ومن إعجاب الناس بالمدونة، وتقديرهم لمكانتها ما يروي عن بعض الشيوخ أنه قال : « ما من حكم نزل من السماء إلا وهو في المدونة» وكان أبو حفص العطار يقول : « القوا علي كل سؤال، فانا أخرجه من المدونة، فقيل له : إذا شقت أمعاء رجل، ثم قتله آخر، من أين يؤخذ من المدونة؟(فقال : يوخذ من مسالة السن». ولذلك قال ابن رشد : «ان المدونة عند أهل الفقه، ككتاب سيبويه عند النحاة، وكتاب — اقليدس عند أهل الحساب»، وكان أبو محمد بن أبي زيد القيرواني يقول : « من حفظ المدونة والمستخرجة لم تبق عليه مسالة».

وقد شرط أهل الأندلس في سجلاتهم أن لا يخرج القاضي عن قول ابن القاسم ما وجده، احتياطا ورغبة في صحة الطريق الموصل لمذهب مالك، كما أن أمراء قرطبة كانوا يرسمون ذلك في مراسيم وظهائر التولية، وكان المتاخرون إذا نقلت لهم مسالة من غير المدونة، وهي فيها موافقة لما في غيرها، عدوه خطأ، وهذا يظهر لنا مقدار حرص القوم على اعتماد هذا الكتاب، وأن من لم يتمرس بفقهه ويطلع على خفاياه، ويدرك مشكلاته لم يكن فقيها في رأيهم، ومع هذا لم تسلم من غضب بعض الناس الذين تضايقوا منها ومن المهتمين بها، فقد تعرضت المدونة للإحراق في الغرب الإسلامي مرتين، مرة في تونس على يد عباس الفارسي الذي كان محدثا يبغض أهل الفقه والرأي، ويقع في أسد وابن القاسم، ومرة في المغرب على يد الموحدين، إلا أن ذلك لم يفت في عضد المالكية، ولم يثنهم عن الاهتمام بها، والعناية بنشرها بين الناس، دراسة وحفظا وشرحا، حتى عدت شروحها بالمآت، ومختصراتها بالعشرات، وقد كان للمالكية في تعليمها وتعلمها طريقتان : طريقة أهل العراق، وطريقة القرويين (القيروانيين) ففقهاء العراق جعلوا في مصطلحهم« مسائل المدونة» كالأساس، وبنوا عليها فصول المذهب بالأدلة والقياس، ولم يعرجوا على الكتاب بتصحيح الروايات، ومناقشة الألفاظ، ودأبهم القصد الى إفراد المسائل، وتحرير الدلائل، على رسم الجدليين وأهل النظر من الأصوليين، وأما الاصطلاح القروي : فهو البحث عن ألفاظ الكتاب، وتحقيق ما احتوت عليه بواطن الأبواب، وتحقيق الروايات، وبيان وجوه الاحتمالات والتنبيه على ما في الكلام، واضطراب السماع، وافق ذلك عوامل الإعراب أو خالفها، وقد سلك القاضي عياض في تنبيهاته مسلكا جمع فيه بين الطريقتين والمذهبين، وذلك لقوة عارضته» أفاد هذا الكلام المقري في أزهار الرياض، هذا ما كان من أمر هذا الكتاب الذي هو أحد الأمهات الأربع التي تشكل المصادر الأساسية للفقه المالكي، أما بقيتها فياتي الحديث عنها عنها إن شاء الله في حلقات قادمة..

من كل بستان زهرة

ثبت في بعض الأحاديث النبوية أن النبي عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام لقي رجلا فقال له : «ما تصنع، قال : أتعبد، قال : فمن يعولك، قال أخي قال : هو أعبد منك»، ونظير ذلك أن رفقة من الأشعريين، كانوا في سفر فلما قدموا. قالوا للرسول : ما رأينا يارسول الله بعدك أفضل من فلان كان يصوم النهار، فإذا نزلنا قام من الليل حتى نرتحل، قال : فمن كان يهيىء له ويكفله، قالوا : كلنا.

فقال النبي عليه الصلاة والسلام: كلكم أفضل منه.

ولى يوسف بن عمر صاحب العراق أعرابيا على عمل له فأصاب عليه خيانة فعزله، فلما قدم عليه قال له :

ـ يا عدو الله أكلت مال الله، قال الأعرابي : فمن أين آكل، إذا لم آكل مال الله لقد راودت إبليس أن يعطيني فلسا واحدا فما فعل، فضحك الأمير وخلى عنه.

قال المأمون لأبي العراء المنقري :

ـ بلغني أنك أمي، وأنك لا تقيم الشعر، وأنك تلحن، فقال :

يا أمير المؤمنين : أما اللحن فربما سبقني لساني بشيء منه، وأما الأمية وكسر الشعر فقد كان النبي ﷺ أميا، وكان لا ينشد الشعر، فقال المأمون:

— سألتك عن ثلاثة عيوب فزدتها رابعا وهو الجهل.

أما علمت ياجاهل أن ذلك في رسول الله فضيلة، وفيك وفي أمثالك رذيلة؟.

عاب رجلا رجلا عند بعض الوجهاء فقيل له :

ـ قد استدللت على كثرة عيوبك بما تكثر من عيوب الناس لأن طالب العيوب إنما يطلبها بقدر ما فيه منها، أما سمعت قول الشاعر:

لاتهتكن من ماسوي الناس ماستروا
فيهتك الله سترا من مساويكا
واذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا
ولا تعب أحدا منهم بما فيكا

قال الشعبي:

كنت جالسا عند شريح القاضي، إذ دخلت عليه امرأة تشتكي زوجها وهو غائب، وتبكي بكاء شديدا، فقلت : أصلحك الله ما أراها إلا مظلومة قال :

— وما علمك؟ قلت : لبكائها قال: لا تفعل فإن إخوة يوسف «جاءوا أباهم عشاء يبكون» وهم له ظالمون.

قال أحد الحكماء :

ـ إذا سمعت الرجل يقول فيك من الخير ما ليس فيك، فلا تامن أن يقول فيك من الشر ما ليس فيك.

« مقاصد مدرسة الثلاثين يوما »
بحث في الحكم الغائية للصوم

إعداد الأستاذ / عبد الحميد عشاق
خريج دار الحديث الحسنية

ابتداء ، قد يسالنا سائل : هل يجوز تعليل أحكام العبادة؟

الواقع، أن المسالة جرى فيها خلاف واسع بين الفقهاء أنفسهم وبينهم وبين المتكلمين، بناء على خلافهم حول قضية أصلية، وهي هل أحكام الله تعالى وأفعاله معللة بعلة أم لا ؟ وجملة تقريراتهم ومذاهبهم في الموضوع - كما حقق — أن الأصل العام في الشريعة هو التعليل، وذلك لأنها شرعت لمصالح العباد، وأن الأصل في العادات والمعاملات هو التعليل والالتفات إلى المعاني، وأن أحكام العبادة معللة في أصلها وجملتها، متعذرة على التعليل في كثير من أجزائها وتفاصيلها، وفي هذا يقول الشاطبي (ت 790هـ) في كتاب الأحكام : « قد علم أن العبادات وضعت لمصالح العباد في الدنيا أو في الآخرة على الجملة، وإن لم يعلم ذلك على التفصيل. ويصح القصد الى مسبباتها الدنيوية والأخروية على الجملة» (1) فللشارع في أحكام العبادة أسرار لا تهتدي العقول إلى إدراكها على وجه التفصيل، وإن أدركتها جملة. (2) وقد أحكم صوغ هذه النتائج والخلاصات الإمام الفقيه أبو عبد الله المقري في (القاعدة الثانية والسبعون) مشيرا إلى مسالتنا بقوله : « الأصل في الأحكام يعني الأحكام العادية والعبادية - المعقولية لا التعبد، لأنه أقرب إلى القبول وأبعد عن الحرج» (3) فلينتظم لنا من هذا أن أي حكم شرعي — عاديا كان تعبديا - يحوي تحته علا ومعاني خاصة، علمها من علمها وجهلها من جهلها، وأن مجال العبادات مجال مفتوح للتدبر والنظر والبحث والالتفات إلى المعاني.

على أن كثرة من جزئيات هذا المجال، مثل كيفيات العبادة ومقاديرها وشروطها وتحديداتها مما يعسر رده إلى تعليل مناسب منضبط تجمع عليه العقول، وهذا الذي لحظه الغزالي (ت505 هـ) بقوله : «مبنى العبادات على الاحتكامات : ونعني بالاحتكام ما خفي علينا وجه اللطف فيه، لأنا نعتقد أن لتقدير الصبح بركعتين، والمغرب بثلاث، والعصر بأربع سرا، وفيه نوع لطف وصلاح للخلق، استاثر الله سبحانه وتعالى بعلمه ولم نطلع عليه. «(4) ولذلك اشترط الأصوليون لصحة التعليل ونتائجه رعي مسالكه وقوانينه الشرعية. إذ لا يؤمن في عملية التنقير عن الحكم — لا سيما فيما ظاهره التعبد — من ارتكاب الخطر، والوقوع في الخطا. وحسب الفقيه أو المجتهد أن يعتبر من علل الأحكام وحكمها ما كان منصوصا أو ظاهرا أو قريبا من الظهور. (5)

وبناء على هذه المقدمات، تبارى أساطين الحكمة والفقه الاسلاميين في تحقيق الحكمة الغائية من مشروعية الصوم، واستبانة مقصد الشريعة من وضعه والتكليف به، وتبيان آثاره وثمراته في تدبير حياة الفرد والأمة والأسرة الانسانية على السواء.

فمن اجتهادات علماء الإسلام في التنقير عن هذا المعنى قول بعض الفقهاء إن هذا الصوم عبادة خالصة ترجع إلى معنى الإمساك عن الأكل والشرب والشهوات المجسمة، وأن قوامها الجوع وترك الأكل، وأن المقصود منها قهر الطبع، وجهاد النفس، وكبح جماع الشهوة، فجعلوا مدار الحكمة الغائية للصوم على أساس فلسفة الجوع والحرمان وما ينشا عنهما. وقال آخرون: المقصود إشعار وإرهاف حس ذوي اليسار بوطاة الحرمان ومرارته على النفس، لترتاض - بأسلوب عملي واقعي — على تقدير ما يعانيه الفقراء والمكدودون. وقيل : إنها عبادة تسمو بالروح لتتشبه بخلق من أخلاق الله تعالى وهو الصمدية، على اعتبار أن معنى الصمد الذي لا يطعم، وقيل : إن في الصوم كذلك التشبه قدر الإمكان بالملائكة المقربين، من حيث انكفاف النفس عن مشتهياتها الحلال، والخلو منها كما أن الملائكة منزهون عن الشهوات كلها، وقيل إنه وسيلة إلى شكر النعمة، إذ الصوم كف عن أشياء تعد من أجل النعم وأعظمها، فالامتناع عنها زمنا يحمل على معرفة قدرها.

وأفاض الصوفية عند حديثهم عن أسرار الصوم — في بيان فضل الجوع وضرر الشبع — إذ عدوا الجوع من أوائل الوسائل لرياضة النفس ومغالبتها، توصلا إلى زكاتها وقمع شهواتها، وبمقابل ذلك بينوا أن شهوة البطن هي أصل شرور الحياة والاجتماع منذ بدء الخليقة إلى الآن، فشهوة البطن هي التي أخرجت آدام وحواء من دار القرار إلى دار الذل والافتقار، والبطن على التحقيق عندهم منبع الشهوات ومنبت الآفات، إذ تتبعها شهوة الجنس، ثم تتبعها شدة الرغبة في الجاه والمال، وأنواع المنافسات والمحاسدات، ثم تتولد من بينها آفة الرياء وغائلة التفاخر، ثم يمتد ذلك إلى الحقد والحسد والعداوة والبغضاء، ثم يفضي ذلك بصاحبه إلى اقتحام البغي والمنكر والفحشاء (6).

و إذا كان لابد أن نعقب على هذه التفاسير لتعيين حكمة مشروعية الصوم فإن أقل ما يقال عنها كونها تتعارض مع أصول الهدي الشرعي، ولا تلتقي مع المقصد والمضمون الكلي للقرآن الكريم والسنة الشريفة، إذ ليست هناك جزئية في الشريعة لا تندرج ضمن إطار كلي، والقرآن الكريم في تعريفه بالأحكام يسير دائما على هذا النحو يقول الشاطبي فيما نصه : «تعريف القرآن بالأحكام الشرعية أكثره كلي لا جزئي، وحيث جاء جزئيا فماخذه على الكلية. (7).

لذلك شدد حكماء الشريعة في تفسير وتحقيق حكم مشروعية الصوم على التزام تقريرات الهدي القرآني المنهجية في الموضوع وعلى التعلق بالهدف العام للشريعة وبناء على هذا المنهج ذكروا أن الحكمة من شرع الصوم أنه وسيلة لحصول هيئة التقوى في القلب قال تعالى : « لعلكم تتقون » الآية (8) فالتقوى بصريح الكتاب هو غاية الصوم وثمرته المرجوة.

فالتقوى كلي يدل على الاستقامة والورع في الاعتماد والديانة والسلوك. وسياتي معنا بحث قابل مستقل نمحضه - بإذن الله — لبيان مكونات هذا المفهوم وأبعاده العميقة الشاملة، مما طالما قصر عن استيعابه كثير من الناس، وباختصار أقول : إن التقوى التي جعلها القرآن غاية للصوم — هي حالة من السعي والكدح الدائبين، تحريا ونشدانا للحق والصواب، أو هي ملكة تحمل صاحبها على الوعي والالتزام والمسؤولية إزاء ألوان من المحظورات والمغريات والمطامع . لكن كيف يبين مفكرو الاسلام صلة عمل الصائم بابعاد ومعاني هذه الحكمة الغائية القرآنية- (التقوى)؟

وكيف يقومون أثر الصوم على الكيان النفسي والشعوري للانسان، وعلى تدبير مناشط حياته وعالمه بما يجعلها تتسامى إلى مقام التقوى؟

تعددت الأنظار والتأويل في الفكر الاسلامي الحديث (9) توضيحا وتنظيرا لهذا الأمر، إلى حد تدلت عنه مادة ثقافية علمية هائلة للتامل الفلسفي والتحليل الذوقي في إدراك مرامي الصوم، وما تفضي إليه ممارسته من عجائب الآثار والنتائج، وقد أثمرت جملة الاجتهادات الفكرية الجارية على هذا المنوال بحوثا قيمة في دراسة واجتلاء ما يمكن تسميته بفلسفة الصوم الإسلامي.

ولئن كان جل ما استخلصته هذه البحوث عبارة عن أحكام ذاتية انطباعية، فإن جمع متفرقاتها وتاليف نظراتها يعطينا تصورا شموليا صحيحا عن مقاصد الصوم وفق أصول النظرة الشرعية الكلية، بالاضافة الى امتياز وتحقق خطاباتها بامارات إيجابية ناجعة في اقناع وحجاج مخاطبي العصر. فنحن إذ نعرض لنماذج من هذه الأبحاث نقصد الاستهداء والاستئناس لتجلية أبعاد وأسرار خطاب التكليف، أولا، وثانيا إنفاذ حجية هذا الخطاب في الناس «لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » (النساء/ 165). ومهما تشتمل هذه الأبحاث على نظرات متخالفة أو متغايرة فليس هناك ما يحجر الالتفات إلى معاني جديدة.

وأول ما يستوقفنا من آراء المفكرين المحدثين : رأى الشيخ الأديب أمين الخولي — رحمة الله - الذي فهم الصوم على أنه « لفت للبشرية الى فطرتها لكيلا تطغى، فكأنما الصوم - عنده تذكير متصل بمادية الكيان وضراعة الاحتياج، وعلامة البشرية الضارعة إلى الطعام والشراب». (10) وقد اعتضد الخولي في استنباط هذا المعنى بتدبر النظرة القرآنية لهذه العبادة وتتبع حديثه فيها، فالقرآن لا يفتا «يعد أكل الطعام آية هذه البشرية المحتاجة، على حين يعد عدم الاطعام مظهر الألوهية وصورة الإنعام، يكرر ذلك مرارا فيقول على لسان ابراهيم عليه السلام : والذي هو يطعمني ويسقين» (الشعراء 79) ويقول في إنعامه على قريش : « الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف » (قريش / 4) ويميز ما بين الألوهية والبشرية فيقول : « وهو يطعم ولا يطعم» (الأنعام/ 14) ويبكت العباد قائلا : « ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون؟ (الذاريات/ 57) ويسجل بشرية الرسل: «وما جعلناهم جسدا لا ياكلون لطعام» (الانبياء/ 8) فالشريعة عمدت في واقعية عملية إلى أخذ هذه البشرية بالصوم، لتنتبه انتباها قويا لما تحتاجه، فتشعر شعورا واضحا بحاجتها الأصلية فلا تتعدى طورها » (11) ويريد الخولي أن يخلص من هذا الى أن الصوم جاء ليعالج مشكلة حقيقية لازال المجتمع البشري يصطلي بنارها وويلاتها إلى الآن، إنها مشكلة الطغيان الناجمة عن شعور الانسان الطاغي بنفسه وجهله وغفلته المسرفة عن حقيقتها وقدرها، فالصوم كما يقول - تشريع يقتطع من العام شهرا يدفع فيه الطغاة المخدوعين إلى الشعور القوي، والانتباه الحقيقي لبشريتهم وحاجاتها، ويكشف عن ذلك... فيهم للناس كشفا، يردهم جميعا الى حدودهم ويلزمهم طورهم فالمقصود من الصوم، إذن، برأي الخولي رياضة عامة تنبيهية متكررة تكبت غوائل الطغيان وتستامل سببا بعيدا من أسبابه هو : تجاوز حد البشرية الطاعمة الشاربة : فكل إنسان مهما يكن مركزه معرض في بيئته للون من الطغيان يجاوز قدره، فإذا ما رده الصوم - باعتباره تنبيها نفسيا متكررا - إلى حاجة الإنسان الى أكل الطعام عاد بالصوم إنسانا سويا قد عرف قدر نفسه!

ومن الحكمة أيضا ما ذكره محمد عبد الله دراز رحمه الله بقوله « ليس هدف الصوم هذا الألم البدني، وإن كان الألم قد يقع في طريقه - إن الله عز وجل حين قال لنا : « كتب عليكم الصيام» لم يقل لعلكم تتاملون، كما أنه لم يقل : لعلكم تصحون أو لعلكم تقتصدون.. وإنما قال : « لعلكم تتقون» فجعل الصوم اختبارا روحيا وتجربة خلقية، وأراد منه أن يكون وسيلتك الى نيل صفة المتقين، وأداتك في اكتساب ملكة التقوى وعنده أن الصوم تدريب للمسلم على السيادة والقيادة، قيادة النفس وضبط زمامها، وكفها عن أهوائها ونزواتها، بل إنه التسامي بتلك القيادة إلى المراتب العلية وبرأيه، رحمه الله، أيضا أن الطابع الاقتراني الشامل الذي ميز أداء فريضة الصوم دليل آخر على أن هذه الفريضة السامية لا يراد منها أن تكون مجرد رياضة روحية تصل بين العبد وربه فحسب، ولا مجرد تجربة إنسانية من التعاطف والتراحم في حالات فردية متفرقة، ولكنه يراد منها أن تكون في الوقت نفسه حلقة اتصال بين الأمة كلها، وأن تكون رباطا من الرحمة بين المومنين تصهرهم جميعا في قالب واحد وفي جسد واحد (13) ونحن فعلا حين ننظر إلى فريضة الصيام نرى فيها مظهرا من مظاهر التماسك والانسجام المعنوي والاخوة والمساواة الاسلامية، إنهم يصومون معا، ويفطرون معا، دون امتياز لأحد، وقد ظهر لنا في مناسبات عدة أن الله تعالى جعل كثيرا من عباداتنا شعارا لوحدتنا، فاراد سبحانه في فريضة الصوم أن يتحول هذا الشعار شعورا ، وأن يصبح هذا الشعور نارا ونورا، نارا : تفري قلوب الاعداء، ونورا يسري إلى قلوب الأولياء، تواصلا وتراحما وتساندا وتعاونا(14).

ومن الآراء الجديرة بالتامل ما ذهب إليه الاستاذ الأديب المفكر عباس محمود العقاد رحمه الله .

البقية ص 7

التوبة

الأستاذ : محمد أعراب
عضو الرابطة فرع الناظور

قال تعالى : « ياأيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنها يوم لا يخزي الله النبيء والذين آمنوا معه، نورهم يسعى بين أيديهم وبايمانهم..(1) الآية.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إن المؤمن إذا اذنب ذنبا كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر صقل منها، وإن زاد زادت حتى يغلف بها قلبه، فذلك الران الذي ذكر الله في كتابه (كلا بل ران على قلوبهم) (2).

التوبة هي رجوع العبد الى الله سبحانه وتعالى ، مما كان عليه من ذنب وغفلة، وتفريط في حقه، والإنابة إليه سبحانه، و إسلام الوجه له، مقبلا على الطاعة، نادما من المعصية، عازما ألا يعود إليها أبدا، مقتفيا لسبيل المومنين الذين ما زالوا يتوبون إلى الله في كل زمان وجيل على الدوام مصدقا لقوله تعالى : « وتوبوا إلى الله جميعا أيها المومنون لعلكم تفلحون» (3) وهذه الآية في سورة مدنية، خاطب الله تعالى بها أهل الإيمان وخيار خلقه، أن يتوبوا إليه بعد إيمانهم وصبرهم وهجرتهم وجهادهم، ثم علق الفلاح بالتوبة تعليق المسبب بسببه، وأتى بأداة «لعل» المشعرة بالترجي ايذانا بأنكم إذا تبتم كنتم على رجاء الفلاح، فلا يرجو الفلاح إلا التائبون، جعلنا الله منهم، وقال تعالى : « ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون» (4) فقسم العباد الى تائب وظالم، وما ثم قسم ثالث البتة، وأوقع اسم (الظالم) على من لم يتب، ولا أظلم منه لجهله بربه وبحقه، وبعيب نفسه وآفاق أعماله» (5). وهي واجبة على كافة العباد بدءا واستمرارا وختاما.

فمنزلة التوبة : أول المنازل وأوسطها وآخرها، فلا يفارقها العبد السالك ولايزال فيها الى الممات، وان ارتحل الى منزل آخر ارتحل به واستصحبه معه ونزل به.

فالتوبة هي بداية العبد ونهايته، وحاجته إليها في النهاية ضرورية، كما أن حاجته إليها في البادية كذلك» (6)

وشروطها هي : الندم والإقلاع والعزم.

ـ الندم على ما سلف منه في الماضي.

ـ والإقلاع عنه في الحال.

ـ والعزم على أن لا يعاوده في المستقبل.

والثلاثة تجتمع في الوقت الذي تقع فيه التوبة، فإنه في ذلك الوقت يندم ويقلع، ويعزم.

والشرط الرابع أن يبرأ من حق صاحبها، فإن كان مالا أو نحوه رده إليه، وإن كان حد قذف ونحوه مكنه منه، أو طلب عفوه. وإن كان غيبة استحله منها » (7) فمن رحمة الله عز وجل أن فتح لعباده باب التوبة والانابة إليه عز وجل في كل وقت بالليل والنهار، وقبل أن تطلع الشمس من مغربها.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « والله إني لاستغفر الله واتوب إليه في اليوم اكثر من سبعين مرة» (8)

وعن الأعز بن يسار المزني رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه، فإني أتوب في اليوم مائة مرة» (19).

وعن أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها » (10).

فلو تمادى الانسان في غيه وفجوره من غير توبة لأظلم قلبه بسبب الرين المذكور في الحديث السابق، ولفسدت فطرته وتدنست نفسه بذنوبه، وحينئذ لا يصلح هذا الانسان للخلافة في الأرض، بل يصبح عنصر شر وإفساد لنفسه وللعباد والبلاد.

فالتوبة هي التي تغسل الذنوب وتطهر القلوب مما ران عليها من آثرها، وتتزكى بها النفوس، وترقى بها أرواح العباد الى سمو الإيمان والطاعة والصلاح والرشاد، فيواصلون مسيرة النور والخير والإيمان في هذه الدنيا، بدلا من السير في الظلام والشر والفسوق والعصيان، فهي ضرورة لتطهير الأفراد والمجتمعات من الرذائل والموبقات المقوضة للأمم والشعوب.

فلا سعادة للناس في الدنيا والآخرة بغير توبة صادقة الى الله سبحانه وتعالى من جميع الذنوب.

قال عز وجل : « وتوبوا الى الله جميعا أيها المومنون لعلكم تفلحون» وهذه الآية في سورة مدنية، خاطب الله تعالى بها أهل الإيمان وخيار خلقه أن يتوبوا إليه، بعد إيمانهم وصبرهم وجهادهم وهجرتهم كما سبقت الإشارة.

حقيقة التوبة :

قال الله تعالى : «ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد»

أمر سبحانه وتعالى عباده المومنين بالمحاسبة لانفسهم بعد أمرهم بالتقوى، وقال عمر رضي الله عنه : « حاسبوا انفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا انفسكم قبل أن توزنوا، وتزينوا للعرض الأكبر»، وقال سبحانه : «يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية» (11).

فالمحاسبة للنفس هي بداية الطريق الى التوبة، لان بها يتبين ضلال الانسان الضال وفجور الفاجر، وفسوق الفاسق، فيرعوي عن ذلك ويؤوب لرشده.

ففي قوله تعالى : « ولتنظر نفس ما قدمت لغد » ما يشعر بقرب رحيل العبد، ولقاء الله سبحانه، ومن شأن هذا الشعور أن يوقظ في الانسان دوافع الإنابة إلى الله عز وجل، والإقبال على التزود للمعاد بالتقوى، والمسارعة في الخيرات «وتزودوا فإن خير الزاد التقوى، واتقون ياأولى الألباب».

فكان من حقيقة التوبة الاقبال على دار الخلود بالعمل الصالح، والتجافي عن دار الغرور ومحاسبة النفس والاستعداد للموت قبل نزوله.

وأورد الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره عند قوله تعالى : «فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام» أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الآية، قالوا كيف يشرح صدره يارسول الله، قال : « نور يقذف فيه فينشرح له وينفسح» قالوا:«فهل لذلك من أمارة يعرف بها، قال: « الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل لقاء الموت».

ومن شان المحاسبة للنفس وذكر الموت، أن يضعف غرور الغافلين ويقلل نوازع الشهوات، ويردع عن اتباع الأهواء وطول الأمل.

روى ابن أبي الدنيا والاصبهاني، كلاهما من طريق ابن لهيعة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ : « نجا أول هذه الأمة باليقين والزهد، ويهلك آخر هذه الأمة بالبخل والأمل»(12).

وذكر أصحاب النبي ﷺ لابن مسعود رضي الله عنه فقال : «أنتم اليوم أكثر صياما وأكثر صلاة وأكثر اجتهادا من أصحاب رسول الله ﷺ وهم كانوا خيرا منكم قالوا: «لم يا أبا عبد الرحمن؟ قال : هم كانوا أزهد في الدنيا وارغب في الآخرة» (13) وهكذا ـ أخي القارىء الكريم ـ يتضح أن التوبة لابد منها لكي تتحقق وتسلم من الآفات، من سلوك سبيل أولئك الأبرار الكرام الذين كانوا أشد تعلقا بما عند الله في الدار الآخرة، وأكثر ذكرا للموت واستعدادا له، وأزهد في حطام الدنيا الفانية، وبذلك استطاعوا القيام برسالتهم في هذه الدنيا، وأرضوا ربهم بما قدموا من جهاد وعمل صالح نتيجة صبرهم وزهدهم.

نعم، إن هذه الدنيا محفوفة بالفتن، وإنها ليست بدار جزاء للمومن ولا سلامة فيها لمن اقبل عليها وأطال فيها الأمل من فتنتها.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « بادروا بالأعمال، فستكون فتن كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا، ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا، يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل» (14)

وهكذا يتبين من الحديث أن خسران الدين والانسلاخ عنه إنما يكون عندما يقبل الناس على الدنيا ويتنافسونها!!

وأهل العلم هم أولى الناس بالتوبة والزهد، لانهم القدوة لغيرهم، فبصدقهم في توبتهم ودينهم وزهدهم يهتدي بهم الناس ويقبلون على ربهم «ويرجون رحمته ويخافون عذابه» (15).

وفي سماع أشهب قال مالك : «قال عمر بن الخطاب: « اعلموا أنه لا يزال الناس مستقيمين ما استقامت لهم أئمتهم وهداتهم».

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : (لو أن أهل العلم صانوا علمهم ووضعوه عند أهله لسادوا به أهل زمانهم، ولكنهم بذلوه لأهل الدنيا لينالوا من دنياهم فهانوا على أهلها، سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول : « من جعل الهموم هما واحدا كفاه الله هم آخرته، ومن تشعبت به الهموم في أحوال الدنيا لم يبال الله في أي أوديتها وقع» (16).

فما أحوج المسلمين اليوم الى التوبة الى ربهم عز وجل عامة وأئمتهم وعلماءهم خاصة، اذ لا سبيل لنا للخروج مما نحن فيه من سوء الأحوال في كل نواحي الحياة والعودة الى مجدنا وعزتنا وتحقيق كرامتنا في هذه الدنيا، بالوقوف بالمرصاد لأعدائنا الذين يعبثون بحرمتنا، ويعتدون على عرضنا ودیننا، ويقتلوننا هنا وهناك لا سبيل لنا الى ذلك الا بالتوبة الصادقة الى الله تعالى توبة عامة وشاملة، من علمائنا أولا ومن عامتنا وحكامنا ثانيا،«ألم يان للذين آمنوا أن تخضع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق، ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم...» (17).

« وتوبوا الى الله جميعا أيها المومنون لعلكم تفلحون» ياقوم، لنتدارك أمرنا قبل فوات الأوان، وقبل حلول نقمة الله بنا.

قال صالح بن علي للخليفة العباسي أبي جعفر المنصور : يا أمير المومنين إن عبيد الله بن مروان، لما دخل أرض النوبة هاربا فيمن أتبعه، سأل ملك النوبة عنهم، فركب الى عبيد الله فكلمه بكلام عجيب لا أحفظه وأزعجه عن بلده، فإن رأيت أن تدعوه من محبسه، فتسأله عن ذلك .. فأمر المنصور بإحضاره وسأله عن القصة فقال : يا أمير المومنين، قدمت أرض النوبة فافترشت أثاثا وثوبا سلم لي ، وأقمت ثلاثا، فأتاني ملك النوبة، وقد خبر أمرنا، فدخل علي رجل طويل أقنى حسن الوجه، فقعد على الأرض، ولم يقرب الثياب، فقلت ما يمنعك أن تقعد على ثيابنا، فقال : إني ملك، وحق على كل ملك أن يتواضع لعظمة الله عز وجل، إن رفعه الله عز وجل، أقبل على فقال لي :لم تشربون الخمور، وهي محرمة عليكم في كتابكم ؟ فقلت : اجترأ على ذلك عبيدنا وسفهاؤنا، قال : لم تطاون الزرع بداوبكم والفساد محرم عليكم في كتابكم ؟ قلت يفعل ذلك جهالنا، قال : فلم تلبسون الديباج والحرير وتستعملون الذهب والفضة وما محرمان عليكم ؟ .. قلت : دخل قوم من العجم في ديننا، فلبسوا ذلك على الكره منا، فأطرق مليا وجعل يقلب يده وينكث في الأرض ثم قال: ليس ذلك كما ذكرت، بل أنتم قوم استحللتم ما حرم عليكم، وركبتم ما نهيتم عنه، وظلمتهم فيما ملكتم، فسلبكم الله تعالى العز، وألبسكم الذل بذنوبكم، ولله فيكم نقمة لم تبلغ نهايتها، وأخاف أن يحل بكم العذاب وأنتم ببلدي فيصيبني معكم، وانما الضيافة ثلاث، فتزودوا ما احتجتم إليه وارتحلوا عن بلدي، ففعلت ذلك.

هذه عبرة من العبر، وما أكثر العبر ! وما أقل المعتبرين!!

وفي الأرض آيات وعبر وذكريات، ولكن أكثر الناس عنها غافلون.

«وكاي من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون» (18)

روى الامام في مسنده عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه قال : لما فتحت قبرص فرق بين أهلها، فبكى بعضهم إلى بعض (أي سبب سبيهم و إبعادهم إلى أماكن نائية، لانهم كانوا غدروا بالمسلمين، وذلك في خلافة معاوية رضي عنه) قال : فرأيت أبا الدرداء جالسا وحده يبكي، فقلت : يا أبا الدرداء ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله؟ فقال : ويحك يا جبير، ما أهون الخلق على الله عز وجل إذا أضاعوا أمره، بينما هي أمة ظاهرة قاهرة لهم الملك، تركوا أمر الله فصاروا الى ما ترى!

وحديث أبي الدرداء هذا يلقي الأضواء الكاشفة علي الأسباب والخطوب الكامنة وراء نكبة أمتنا الاسلامية، فبينما نحن معشر

البقية ص 7

«مقاصد مدرسة الثلاثين يوما» بحث في الحكم الغائية للصوم

تابع ص 5

من أن الصوم هو إحدى وسائل النفس التي تنوب بها إلى وجودها وتستقل بها عما حولها، وانه إن ظهر في بعض جوانبه بمظهر «إنكار الذات» فهو في أعمق أعماقه تقرير للذات، إثبات لقيامها بنفسها، واستغنائها عما هو خارج عنها، يتساءل العقاد قائلا : « هل الصوم من دواعي إنكار «الذات» المتنبهة أو هو من دواعي إثباتها وتوكيدها ؟ وهل هو من أسباب نسيان النفس الشاعرة وسحق كبريائها أو هو من أسباب تذكرها وتقرير وجودها ؟ يجيب عن نفسه » أكاد أقول إن الصوم بجميع درجاته وأنواعه حيلة نفسية خفية لتقرير وجودها وتوكيد عزتها، ورفض كل ما يسيء الظن بها في نظر صاحبها، وما أيسر أن نعرف ذلك حسبنا أن نراقب الحالة التي تناقض الصوم لنهتدي إلى الحقيقة من المقابلة بين النقيضين فانظر على سبيل المثال إلى أي رجل تعرفه ممن أرخوا العنان لشهواتهم وأجابوا نفوسهم إلى أهوائها واسترسلوا في الغواية بلا رادع ولا مقاومة، فهل ترى هذا الرجل «واجدا» نفسه مكرما لها أو تراه رجلا كهذا إلا ارتسمت على وجهه علامة احتقار هي قبل كل شيء موجهة إلى نفسه لا إلى سواه (15).

وبنظر العقاد أنه لا يعرف معنى «للنفس» في حالة الاسترسال والمطاوعة، وأن الإنسان لا يزال شيئا تافها لا إرادة له ولاموقف، حتى « يمتنع » عن شيء يدفع إليه ويقف في وسط التيار الذي يحيط به، فهنالك يعثر الانسان على نفسه بعد إذ فقدها بالمجاراة والنسيان، ويشعر بمعنى رفيع هو أسمى مراتب الوعي وأسمى معاني الحياة الذي لم يسم إليه إلا الانسان بين سائر الأحياء وحاصل ما بدا للعقاد من حكمة الصوم أنه بكل نوع من أنواعه وفي كل درجة من درجاته وسيلة رائعة من وسائل تقرير الذات لا يستغني عنه أحد في مزاولات الحياة، ولا مندوحة لنا عنه للشعور بما فينا من علو على الجماد المسخر، واستعلاء واستقلال عن جواذب الشهوة وتيار الضرورات، ثم من الحكمة ما ذكره أديب العربية، وشيخ العلوم القرآنية المرحوم مصطفى صادق الرافعي الذي أعلن في مستهل بحثه لهذا الموضوع أنه لم يقرأ لأحد قولا شافيا في فلسفة الصوم وحكمته، وخلاصة ما انتهى إليه تحديق الرافعي وتدبره فيما يتعلق بهذه الفلسفة تأكده أن الصوم فقر إجباري تفرضه الشريعة على الناس فرضا، ليتساوى الجميع في بواطنهم كما يتساوى الناس جميعا في ذهاب كبريائهم الانسانية بالصلاة التي يفرضها الإسلام على كل مسلم، وفي ذهاب تفاوتهم الاجتماعي بالحج الذي يفرضه على من استطاع (16) هذا الفقر الاجباري، بنظر الرافعي ليس مقصودا لذاته وإنما يراد به إشعار النفس الانسانية بطريقة عملية واضحة أن الحياة الصحيحة وراء الحياة لا فيها، وأنها إنما تكون على أتمها حين يتساوى الناس في الشعور ولا حين يختلفون، وحين يتعاطون بإحساس الألم، لا حين يتنازعون بإحساس الأهواء المتعددة، ويرى الرافعي أن الناس إنما يختلفون ببطونهم وأحكام هذه البطون على العقل والعاطفة فمن البطن - كما يقول - نكبة الانسانية، وهو العقل العملي على الأرض، لذلك يتناوله الصوم بالتهذيب والتدريب ويجعل الناس فيه سواء، ليس لجميعهم إلا شعور واحدوحس وطبيعته واحدة (17) وبعد أن يلحظ الرافعي معنى دقيقا من قواعد النفس، وهو أن انبجاس الرحمة فيها ينشأ دائما عن الألم يخلص إلى أن الصوم طريقة عملية لتربية الرحمة في النفس وهذا بعض السر الاجتماعي العظيم المنطوي في هذه العبادة ويعلق على هذه الحقيقة بقوله : «أي معجزة إصلاحية أعجب من هذه المعجزة الإسلامية التي تقضي أن يحذف من الانسانية كلها تاريخ البطن ثلاثين يوما في كل سنة ليحل في محله تاريخ النفس» (18).

وثمت حكمة كبيرة أخرى من حكم مشروعية الصوم باعتقاد الرافعي، وهو عمله على تربية الإرادة وتقويتها باسلوب عملي يدرب الصائم على أن يمتنع باختياره ، ويبقيه مصرا على الامتناع، راسخ الفكرة رابط العزم. وإدراك هذه القوة من الإدارة العملية منزلة اجتماعية سامية هي في الانسانية فوق منزلة الثقافة والعلم، ففي هذين تعرض الفكرة مارة مرورها، ولكنها في الإرادة تعرض لتستقر ولتعود جزءا من عمل الإنسان، وهل تبلغ الإرادة فيما تبلغه أعلى منزلتها حين تجعل شهوات المرء مذعنة لفكره، منقادة للوازع النفسي فيه، مصرفة بالحس الإيماني الداخلي المسيطر على النفس ومشاعرها ؟ ويبين الرافعي رحمه الله صلة الصوم بتدبير العالم الإنساني، بأن الصوم الإسلامي لو عم أهل الأرض جميعا لآل معناه إلى أن يكون إجماعا من الانسانية كلها على إعلان الثورة شهرا كاملا في السنة لتطهير العالم من رذائله وفساده، ومحق الأثرة والبخل فيه، وطرح مسالة النفسية ليتدارسها أهل الأرض دراسة عملية طوال هذا الشهر فيهبط كل رجل وكل امرأة إلى أعماق نفسه ومكامنها، ليختبر في مصنع فكره معنى الحاجة ومعنى الفقر، وليفهم في طبيعة جسمه لا في الكتب، معاني الصبر والثباث والإرادة، وليبلغ من ذلك كله درجات الانسانية والمواساة والاحسان (19).

وبعد فهذه نخبة منتقاة من الأنظار والآراء في مقاصد الصوم وحكمه، قصدت من إيرادها الاستهداء بقبس من ضياء بصائرها، لندرك طرفا من حكمة الله جل وعلا في هاتيك العبادة، ولئن أشعرت بمذاهب مختلفة في التاويل، وميولات متغايرة في التعليل، فإنها إنما تحوم حوم الحكمة القرآنية العليا المصرح بها في الآية الكريمة : «ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون».

والأفضل بالنسبة إلينا ألا يقنع التفكير الإسلامي من هذه الحكم المستخرجة بغاية يقف عندها أو يكتفي بها، بل لابد أن يتخذ الصائم من نفسه ومن تجربته الذاتية الحية مع «مدرسة الثلاثين يوما» وصلة الى مزيد من استكناه أسرار الصوم، والنظرمن جديد في الحكمة وراء ما قيل، ولعمري إن ارتياض الإنسان المسلم على التفكير والإمعان، والتامل في أسرار هذه الديانة، وفهم الأساس الذي ترى إقامة الحياة عليه، والغوص في إدراك معنى التدين و معنى التعبد للمولى جل جلاله لهو أعظم مقاصد الصوم الرمضاني، ولأمر قال تعالى : «شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان »، ففي رمضان إذ يشعر الناس من آثار الصوم بما يشعرون به، يقرب القرآن إلى صماخ قلوبهم، ويزيد في اجتلائهم لحقائقه، واستشفافهم لبيناته، فالأحاسيس في أفياء رمضان تخشع وترهق، والروح تصفو وتزكو، والعقل يتفتح ويتقد، فيغدوا أقدر على استنباط أسرار هدايات الوحي الخالدة. وبالمناسبة، إن القرآن الكريم وصف نفسه في مواضع عديدة بوصف الهدى، لكنه لم يرد وصفه في القرآن بانه «هدى وبينات من الهدى والفرقان» سوى في معرض الآية المخصوصة بفكر رمضان، ويفهم من ذلك — كما ألمحت إليه آنفا - أن الصائم يدرك في « مدرسة ثلاثين يوما » من معاني الوحي ومقاصد الكتاب هدى وزيادة : هدى وبينات من الهدى والفرقان، وهذه منحة ونفحة لاتضاهيها منحة أخرى من المنن الكثيرة التي يكتسي بكسائها الصائم منذ تضمخه بخلوف صومه «ومن يوت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا» البقرة 229

انتهى والحمد الله

الهوامش

1- الموافقات للشاطبي، دار المعرفة، بيروت ج 1ص 201

2 — إعلام الموقعين لابن القيم دار الجيل، بيروت ج 2ص 107

3- قواعد الفقه للمقري دار الحديث الحسنية الرباط القاعدة : 72

4 - انظر شفاء الغليل لأبي حامد الغزالي ص 204.

5 — للتوسع في دراسة تفاصيل هذا المبحث، انظر :
مصطفى شلبي، تعليل الأحكام، دار النهضة، بيروت 1981
- أحمد الريسوني، نظرية المقاصد المكتبة السلفية / المغرب 1990.

6 - أمين الخولي، من هدايا القرآن في رمضان، الهيئة العامة للكتاب 1987ص 32.

7 انظر الموافقات للشاطبي: ج 2662.

9 - مفكرون إسلاميون كثيرون أدلوا بدلوهم في الموضوع مثل الشيخ الرافعي وأمين الخولي والرافعي ومصطفى السباعي وغيرهم..

10- أمين الخولي المصدر السابق : 48

11- المصدر السابق : 14وما بعدها

12 — محمد عبد الله دراز / نظرات في الإسلام/ دار الأرقم طه 1972ص : 51.

13و14 المصدر السابق : 52وما بعدها.

15- عباس محمود العقاد، مقال «الصيام بين إنكار الذات وتقريرها» مجلة الكويت ع 9 1981 ص:20

16 مصطفى صادق الرافعي مقال «شهر الثورة» مجلة الكويت ع92 1981ص : 25

17-(8) المصدر نفسه : 26وما بعدها.

التوبة

تابع ص 6

المسلمين كنا أمة قاهرة ظاهرة في الأرض، لنا الملك والسلطان، والسيف والصولجان، ولنا الكلمة العليا إن قلنا أصغت الدنيا، وإن أمرنا خضعت الأمم لامرنا وسلطاننا، فلما تركنا أمر ربنا، وخالفنا قواعد ديننا، وضللنا الطريق المستقيم الذي رسمه الله لنا، وخطه لنا خطوطا واضحة بينة، وأمرنا بالسير فيه وسلوكه، لما سلكنا هذا السبيل المعوج صرنا الى ما صرنا إليه من الفرقة والشتات والذل والهوان وهل في الدنيا والآخرة شر وداء وبلاء الا وسببه الذنوب والمعاصي وترك الأوامر والنواهي !!؟

وهل عذبت أمة من الأمم في القديم والحديث إلا بذنوبها، ولانزل عذاب الا بذنب ولا ارتفع الا بتوبة (19).

فاللهم يسر لنا توبة إليك صادقة، وعودة إليك حميدة، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش

1- سورة التحريم الآية 8

2 — رواه الترمذي وصححه وغيره وكذا في الترغيب للمنذري

3- سور النور الآية 31

4- الحجرات الآية 11

5 — من مقدمة كتاب التوابين لابن قدامة المقدسي

6- نفس المرجع السابق

7 — نفس المرجع السابق نقلا عن تهذيب مدارج السالكين لابن قيم الجوزية

8- البخاري

9- 10 مسلم

11- الحاقة رقم (18)

12- الترغيب والترهيب للمنذري

13- حياة الصحابة ج 1.

14- الترغيب الترهيب للمنذري

15- الاسراء الآية 57

16 - جامع بيان العلم وفضله - ابن عبد البر -

17- الحديد الآية 16

18 من كتاب أثر الذنوب في هدم الأمم محمد محمود الصواف.

19- نفس المرجع السابق.

القلب :

قال أبو بكر الوراقي للقلب ستة أشياء :
حياة، وموت، وصحة، وسقم، ويقظة، ونوم.

بيان للناس

تابع ص 3

بتكساس، وإن اليهودية هي جرائم الاحتلال الصهيوني في فلسطين، ووحشية ما يركاهانا وعصابته في نيويورك. إلى غير ذلك من أعمال العدوان والتطرف والعنف.

4 — دعوتها المنصفين من المثقفين والتربويين والإعلاميين وأهل الرأي في العالم إلى قول كلمة الحق، انتصارا لمبادىء العدالة، ومحافظة على حرمة النفس البشرية، وتحقيقيا للمساواة الإنسانية.

فليس أضر على البشرية من تضليل الناس، وإيغار الصدور، وزرع الأحقاد ونشر الأكاذيب.

«قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون».

فتيات مسلمات من البوسنة التجأن إلى كرواتيا، ونراهن يؤدين الصلاة في مسجد زغرب

المسلمون في الإعلام العالمي

الأستاذ هادي الواسطي

ليس غريبا أن ينتسب الفرد الى جنسيته.. وليس غريبا أن ينتسب الثائر إلى أرضه.. كما وليس غريبا ان تنسب القنبلة النووية إلى البلدان التي تمتلكها.. و .. ولكن الأمر يكون غريبا بل اشد غرابة حينما تختص القضية بالانسان المسلم. فإنها تختلف تماما، حيث كل ما يختص به ينتسب إلى عقيدته وديانته!!

فحينها تصدح أجهزة الإعلام العالمية وتفاجيء الجماهير : إن مسلما قتل .. أو فجر قنبلة في مكان ما ، وهي لا تقول، أبدا، أن يهوديا فجر مكانا وقضى على كذا من الفلسطينيين .. أو مسيحيا قتل .. أو حتى بوذيا أو عابد بقر أو غنم.

وهكذا قنابل العالم النووية، ايضا تنسبها إلى بلدانها.. فالقنبلة النووية الأمريكية وليست المسيحية والقنبلة النووية الهندية وليست البوذية، والأخرى الاسرائيلية وليست اليهودية وعندما يأتي الدور لذكر القنبلة النووية التي ستصنعها الباكستان فإنها تصفها بالقنبلة النووية «الاسلامية»!!

وحتى النضال والجهاد الاسلامي الذي لا يستطيع أحد إنكاره .. فان هذه الأجهزة الاعلامية تحاول ــ بدلا من هذا الانكار الذي قد يفشل ــ أن تشوهها وتنسبها الى جهات غير اسلامية «كالمقاومة الوطنية» مثلا .. كما حدث ويحدث في العراق حاليا..

والأمثلة كثيرة .. إلا أننا لسنا بصدد وضع مبضع التشريح على كل جثة الإعلام المتآمر على الأمة الإسلامية، يكفينا في هذه المساحة أن نشير إلى دور الإعلام الغربي وأهدافه وأساليبه تجاه شعوبه هو ليتسنى لنا معرفة أساليبه في التعامل مع الشعوب الأخرى وقضاياها.

لا يختلف اثنان بأن هذا الإعلام بجميع وسائله وأجهزته «صحافة، إذاعة كتب، شركات، سينما، وكالات أنباء دوريات... و.. والمنتشرة في كل أرجاء حياة الناس هي بيد النظام الغربي وتحت سلطة المال هناك..

وبهذا يتيسر له توجيه الجماهير كيفما شاء ونحو أهداف وهمية ليهيء الأرضية الملائمة لتنفيذ سياساته ومخططاته (داخليا وخارجيا).

إذن للنظام الغربي أسلوب الهيمنة على العقول وتوجيهها الى حيث المزيد من الأطماع والتوسع.. والمزيد من الجشع والاحتكار..

واذا ما عرفنا مدى احتكار الدوائر الغربية للاعلام العالمي، انكشف لنا، وبشكل جلي، أهمية ذلك وخطورته.. فمنذ نهاية الحرب العالمية الثانية أصبح تدفق المواد الاعلامية على العالم من صنع شركات كبرى معدودة، ففي مجال وكالات الأنباء مثلا التي توزع أخبار الدول والشخصيات العالمية تسيطر خمس منها، فقط، على توزيع هذه الأخبار وهي الاسوشيتدبرس (اي بي) ويونايتدبرس انترناشيونال (اي بي يو) الامريكيتان ورويتر البريطانية ووكالة الأنباء الفرنسية (بي اف اي) ووكالة تاس السوفييتية (سابقا).. وعبر هذه الوكالات يتم انتقاء الأخبار وإعادة صياغتها ثم توزيعها على الصحف العالمية والمجلات واجهزة التلفزة والإذاعة في معظم دول العالم.

وتأتي خطورة هذه الوكالات في أنها تنتقي الأخبار التي تهمها، وتريد الاستفادة منها لصنع رأي عام دولي حول موضوع معين، تاكيدا على وجهة نظر الدول العظمى التي تمتلكها .

إضافة إلى وكالات الأنباء هذه، تشير بعض الدراسات إلى أن الولايات المتحدة تسيطر على 75٪ من السيل الإعلامي لبرامج التلفزة و 90٪ من أخبارها، و 35٪ من الكتب و 60 ٪ من انتاج أسطوانات التسجيل و 82٪ من المعدات الالكترونية المستخدمة في مجال الاتصالات الجماهيرية.

هذا في مجال احتكار الدول العظمى للإعلام، أما في مجال احتكار الشركات الكبرى التابعة لهذه الدول فالأمثلة متعددة .. فالشركة الواحدة تمتلك الصحف ودور النشر وأجهزة التلفزة والإذاعة في آن واحد، مما يجعلها تسيطر على المادة الإعلامية التي تريد ترويجها في العالم.

تأملات وخواطر

من وحي الطبيعة

«تاركونت»

اسمها «تاركونت» هضبة شامخة تكاد تكون جبلا، تزينت واخضرت جوانبها بوشي الربيع، في أسفلها انبثقت عين جارية، يجري منها ماء عذب زلال، وقد سماها سكان قرية « أولاد سلطان» القريبة من العرائش بالعين القبلية، فخيوط أشعة الشمس تتسرب اليها من جهة الشرق بعد صياح الديكة وهي تؤذن لمقدم فجر جديد.

لا أذكر كيف قادتني قدماي الى الهضبة التي كانت يوما قلعة حصينة عسكرية يسلط الاستعمار الاسباني من فوق قمتها وابلا من قنابله على المجاهدين الجبليين علهم يبتعدون عن محاصرتها والاقتراب منها.

اغتنمت فرصة زيارتي للقرية. من أجل ان أعيش أوقاتا استمتع فيها بجمال الكون، وفي الصباح الباكر كانت تطالعني الهضبة ببهائها وجلالها، فما شعرت الا والحنين يراودني للذهاب في فسحة ربيعية بعيدا عن الصخب وأقوال الناس التي لا تنتهي، وتملكتني السعادة وأنا أرنو إلى الأرض المكسوة بالزرابي التي صنعها الله من سندس اخضر.

كانت زهور البنفسج الطبيعي في كل، مكان، وأريجها المعطر ينفذ إلى رئتي، والطيور والعصافير من كل نوع ولون وشكل تتبارى في الانشاد والطرب، وكأنها جوقة موسيقية تسلهم روائع تشايكوفسكي التي استوحاها من بحيرة البجع.

ما قيمة المدينة الخانقة الملوثة بالدخان الصاعد من المصانع والمعامل ومن آلاف السيارات التي تذهب وتجيء في الشوارع بدون فتور أمام هضبة «تاركونت»؟

إن كل شيء هنا رائع وبديع، فالطبيعة تسجد شكرا لخالقها، والطير يصدح بأنغامه والأغنام الصغيرة تتحلق حول امهاتها والنحلة تسبح الله وتبحث عن زهور تفتحت أكمامها حديثا.

هنا كل شيء يدعوك إلى تامل جمال الحياة، هنا الهدوء والصمت.. هنا لا توجد توترات عصبية.. هنا الناس يعيشون بلقمة خبز وقدح من الحليب، ويشربون من ماء هضبة «تاركونت» ومع ذلك فهم سعداء. ان فقيه القرية« السي حمو» عاش مائة وخمسة عشر عاما، وقد توفي يوم فقد رفيقة عمره، ما عرف الطبيب ولا الصيدلية، ولا المصحة، ولا عرف هذه الاشكال والأنواع من الأمراض المنتشرة في عالم المدينة.

كان شيء في قرارة نفسي يشدني إلى أن أتوسد الأرض وأنام وأفتح عيني إلى السماء شكرا لله الذي أبدع كونه.

وفي لحظة تامل بدالي كم تكون المدينة خانقة تحجب عن الناس سعادتهم وحياتهم الهنيئة.

محمد الخضر الريسوني

منبر الرابطة

لسان رابطة علماء المغرب

المدير المسؤول
الشيخ محمد المكي الناصري

رئيس التحرير
محمد الخضر الريسوني

الخميس 16 شوال 1413 هـ الموافق 8 أبريل 1993
العدد: 40. السنة الاولى. ثمن العدد: درهمان. رقم الايداع القانوني: 79 / 1992
الاشتراكات السنوية داخل المغرب مائة درهم
العنوان: 107 شارع فال ولد عمير رقم 7 ـ اكدال ـ الرباط الهاتف: 51 03 67
حساب منبر الرابطة 25201015549.01
وكالة بنك الوفاء حي أكدال رقم 83 شارع فال ولد عمير ـ الرباط